

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

المحاضرة العاشرة: الوثائق الأرشيفية ومكانتها في دراسة التاريخ.

الوثيقة والتأويل

يعدّ التاريخ من أكثر العلوم الإنسانية ارتباطا بالوثيقة، حتّى إنّه بدونها تستحيل الكتابة التاريخية. إنّ علاقة المؤرخ بالوثيقة علاقة حميمة وقديمة في نفس الوقت، فالوثيقة ضرورية لاستعادة الماضي الإنساني أو إضاءة بعض جوانبه. إلّا أنّ الوثيقة قد لا تكون دائما صادقة فيما تدعيه، لذا وجب على المؤرخ التساؤل عن مدى صدق أصحابها وعن مواقفهم المذهبية أو الأيديولوجية، كما وجب عليه عدم الثقة العمياء بمحتوى الوثيقة. فالوثيقة المزورة لا تقل أهمية لدى المؤرخ عن الوثيقة الصحيحة، فمن واجب المؤرخ التساؤل عن دواعي وأسباب تزويرها والتعامل معها بكلّ حذر ويقظة، ولنا في تراثنا الإسلامي أحسن مثال عن ذلك وهي الأحاديث الموضوعية التي صيغت لأغراض سياسية وميولات مذهبية معينة.

فلا شكّ أنّ التاريخ يتجدد باكتشاف وثائق جديدة مكتوبة أو أثرية أو غيرها، ولكنه يتجدد أيضا بقراءات مختلفة للوثيقة الواحدة وبتعدد الأسئلة المطروحة على الوثيقة أي بالتمعن بدقة فيما يقال في الوثائق ولماذا يقال بتلك الطريقة دون غيرها. وهو السبيل إلى كتابة التاريخ وإعادة كتابته بمناهج مختلفة، وكل كتابة جديدة إنما هي تجاوز لمجموعة من المسلمات والحقائق التي أفرزها البحث السابق وليست بالتالي اجتراراً لخلاصات الكتابة السابقة. فالركون إلى مثل هذا الإجتراح دون نقد وتمحيص وتجديد للمقاربة يفضي إلى كمية هائلة من الدراسات ذات العناوين المختلفة والمضامين المتشابهة.

تحليل بعض الوثائق

نكتسي حصص الشغال الموجهة أهمية كبيرة في دراسة الطالب بشعبة التاريخ إذ يتدرب فيها على مناهج تحليل ودراسة مختلف الوثائق وطرق التعامل معها.

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

* الوثيقة الإحصائية

لا ينحصر شرح الوثائق في النصوص التاريخية، بل قد يكون لخارطة تاريخية أو لمخطط أو لصورة أو لجدول إحصائي.

قبل تقديم التوجيهات المنهجية بشأن شرح الوثيقة الإحصائية نعرف بالتاريخ الكمي (histoire quantitative) أو ما يعرف أيضا بالتاريخ السلسلي (histoire sérielle) الذي ما انفك يتطور منذ ظهوره في الثلاثينات في إطار مدرسة الحوليات مع دراسات كل من سيمياند (F. Simiand) ولبروس (F. Labrousse) وشونو (P. Chaunu). وقد ولع هذا الأخير بالتاريخ السلسلي حتى اعتبره الشكل الوحيد للبحث التاريخي، فقال عنه:

« L'histoire depuis vingt ans est sérielle, à la limite même, elle n'est plus que sérielle ... Il n'y a plus guère d'histoire digne de ce nom, aujourd'hui, qui ne soit sérielle » (P. Chaunu, Séville et l'Atlantique, p. 123, 128)

يعتمد التاريخ الكمي على استغلال سلاسل مرقمة لمعطيات متجانسة قابلة للمقارنة وممتدة على فترة زمنية طويلة وذلك حتى تتبين للمؤرخ التغييرات والتطورات الحاصلة وهو ما أسماه عبد الله العسروي "التاريخ بالعدد".

لقد كان للأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 دور كبير في ظهور البحوث الأولى في التاريخ الكمي في أوائل الثلاثينات حول تطور الأجور والأسعار خاصة. ومنذ ذلك التاريخ لم تنفك تتطور الدراسات الكمية باطراد مستغلة التطور التقني والثورة المعلوماتية، وقد شكّل استعمال الحاسوب في الدراسات التاريخية ثورة في نظر بعضهم إذ ضاعف القدرة الحسابية من جهة وأدخل العدد في ميادين غير الانتاج المادي من جهة أخرى. وهو ما يفسر إعجاب بعض المؤرخين بالتاريخ الكمي والدفاع عن خدماته وتعدد

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

فوائده التي منها دحض الأحكام المسبقة للمؤرخين التقليديين. ورغم ذلك فإنّ العديد من المؤرخين محترزين إزاء التاريخ الكميّ وأهميته ومحدودية استغلاله في الدراسات التاريخية، وأنّه يشكل نمطا من بين أنماط الكتابة التاريخية لا غير، ويستوجب شروطا لا بدّ من توفرها (طول المدة - انتظام الإحصائيات...)، ولا يمكن تطبيقه على كلّ المجالات إذ يقيس المجالان الاقتصادي والاجتماعي من أفضل المجالات التطبيقية للفرّعين الحديثة والمعاصرة اللتين تتوفر فيهما معطيات رقمية بالنسبة للأقطار التي لها تقاليد أرشيفية. ثمّ إنّ توفر المعطيات المرقمة ليس في كل زمان ومكان (غيابها في الفترة القديمة والوسيلة في بعض الأماكن)...

قد يربك شرح الوثيقة الإحصائية الطالب بقسم التاريخ لتعوده على شرح النصوص التاريخية وقلة تعامله مع هذا الصنف من الوثائق. في حين أنّ الوثيقة الإحصائية لا تقل تعبيراً عن النصّ، بل أحيانا أكثر تعبيراً خاصة إذا ما تعلقت بتطور وضعية أو إنتاج يمكن تحويله بسهولة من سلسلة رقمية إلى رسم بياني يبرز من أول وهلة التطور واتجاهه العام (تزايد أو انخفاض أو استقرار...) ومختلف مراحل مع محاولة تفسير الظواهر التي تبدو غريبة أو غير عادية أو استثنائية وانعكاسات هذه الظواهر على الصعيدين الاجتماعي والسياسي أو غيرهما بحسب نوعيتها.

لا تختلف منهجية شرح الجدول الإحصائيّ كثيرا عن منهجية شرح النصّ التاريخي: فهي تشتمل على العناصر التالية:

- تقديم الوثيقة من حيث النوعية والمعطيات التي تتضمنها والإطار التاريخي.

- التعبير عن تطوّر المعطيات الواردة في الجدول برسم بيانيّ يبرز بسرعة توجّه التطوّر وذلك بتحويل المعطيات من مجرد أرقام جافّة إلى شكل بيانيّ معبّر.

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

المحاضرة الحادية عشر:

دراسة نماذج من الوثائق الارشيفية

1_وثائق دفتر التشريفات:

□ قام فانيان بترقيم المخطوطات (كما سبق وأشرنا في المحاضرات السابقة_ التي وضعتها الادارة الفرنسية بالمكتبة الوطنية بالجزائر 1852م وفي فهرس هذا الاخير جاء مانصه ان دفتر التشريفات هو عبارة عن تقارير ورسائل وملاحظات باللغة التركية حول تاريخ الجزائر منذ عهد الداوي شعبان (1688_ 1695م) حتي اوائل الاحتلال الفرنسي وقسم كبير منها تم ترجمته من طرف ألبير دوفو و المخطوط في أصله باللغة التركية وبالحظ الديواني .

□ تفطن ألبير دوفو لاهمية دفتر التشريفات في مجال تقدم حركة البحث التاريخي في الجزائر في الفترة العثمانية وحاول ترجمة بعض النصوص بدأ من الاحداث التاريخية الحرب مع المغرب، الحملة ضد تونس تحرير وهران ..

□ كما ترجم ما يتعلق بالجيش والموظفين الخزانجي ووكيل الخرج الامناء، السفن الغنائم ، الهدايا والاتاوات الضرائب وجباية الاموال، الحاميات العسكرية بالاضافة الي افتداء الاسرى . كما قام باحصاء عام للمسيحيين.

□ تكمن الاهمية التاريخية لدفتر التشريفات في الارقام المسجلة به فيما يخص عدد الاسرى المسيحيين ما بين 1736_1816م

□ حسب دفتر التشريفات كان عدد الأسرى في السنوات التي حكم فيها " علي باشا " على النحو التالي:

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

□ 1754م: 591 أسير

□ 1755م: 564 أسير

□ 1756م: 694 أسير

□ 1757م: 1561 أسير

□ 1758م: 1571 أسير

□ تجدر الإشارة إلى أنه كان بالجزائر آنذاك ثلاثة سجون حسب " كانوا ألونزو " تحتوي على أكثر من 1500 إلى 1800 أسير، يعرف السجن الأول باسم " قالينغ " Galère"، والثاني باسم سجن البايك "Beylik" يوجدان أمام سوق البدستان في الطريق الرئيسي أما الثالث فيسمى بسجن " سيدي حمودة " "Sidi Hamouda" خلف قصر الداوي.

□ يوجد في سجن البايك من 900 إلى 1000 أسير، وهو أكثر من سجن " قالير "، الذي يحوي من خمسمائة إلى ستمائة أسير، وأقل من هذه النسبة في سجن " سيدي حمودة " الذي لا يحوي سوى مائة وخمسين إلى مائتين أسير، ويتوفر على مقربة من سجن " القالينغ " المستشفى لمداواة المرضى فيه ستين سرير، ويزداد العدد أيام انتشار الوباء.

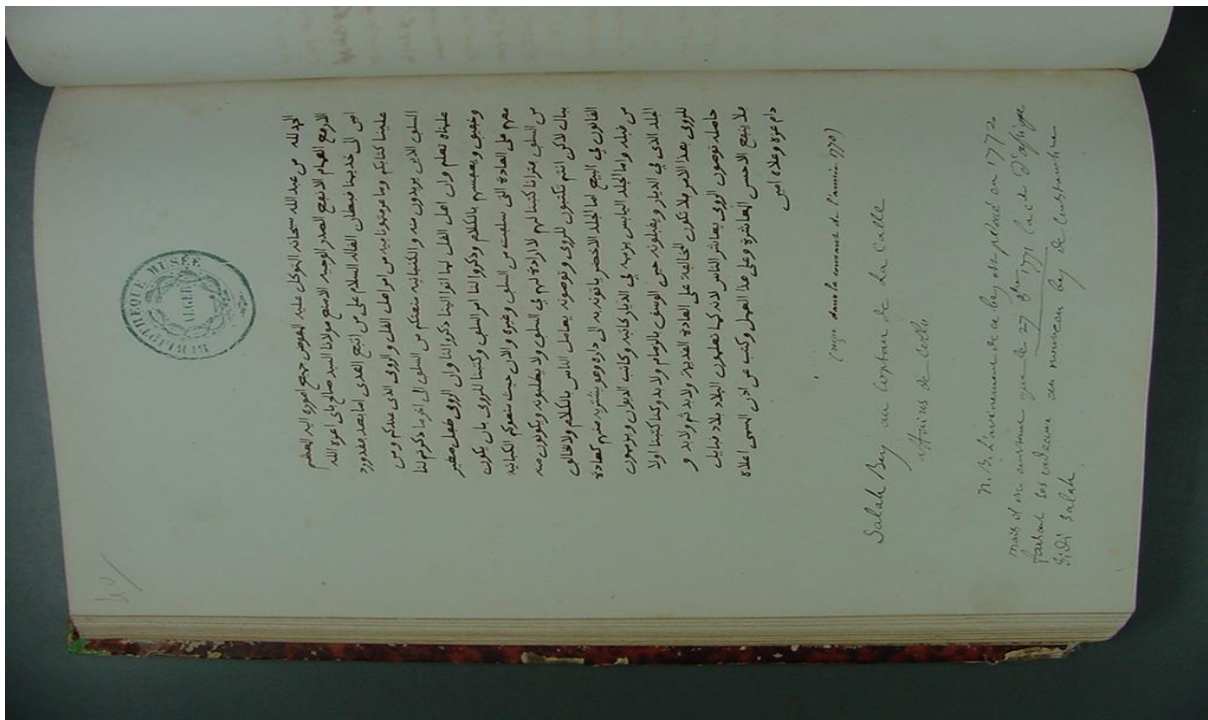
2_ تحديد كراء الحوانيت:

وفرت لنا سلسلة المحاكم الشرعية وثيقة بغية الأهمية والدقة ، لما تضمنته من معلومات لأثمان كراء الحوانيت من قبل الداوي " علي باشا "، كما أنها حددت طبيعة النشاط الممارس فيها، ومن ثم صاحبها، فنجد حانوت معدة لبيع اللحم، وأخرى للطبخ، وأخرى للتزليف وهكذا...، وحتى نوضح كل هذه المعلومات ارتأينا إعداد جدول نورد فيه صاحب الحانوت،

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1... د. يوسف صرهودة

وطبيعة الممارس بها، ثم ثمن كرائها في كل شهر، وهذا حسب المرافعة التي رفعت في أواخر شعبان من عام 1178 هـ / 1765 م.

3_ قراءة في وثيقة: المجموعة 1641 بالمكتبة الوطنية:



الوثيقة 40 المجموعة 1641:

□ الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المعوض جميع اموره اليه المعظم الارفع
الهمام الانفع الصدر الوجيه الامنع مولانا السيد صالح باي اعزه الله امين الى خديمنا
قبطان القالة السلام على من اتبع الهدى اما بعد .

□ فقد ورد علينا كتابكم وما عرفتمونا فيه من اهل القل و الرومي الذي عندكم ومن
السلف الذين يريدون منه و الكنبايه منعتكم من السلف الى اخر ما ذكرتم لنا علمناه

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1 ... د. يوسف صرهودة

تعلم وان اهل القل لما اتوا الينا ذكروا لنا وان الرومي طفل صغير و خفيف ويعفسهم بالكلام(كذا)، وذكروا لنا امر السلف وكتبنا للرومي بان يكون معهم على العادة التي سلفت من السلف وغيره و الان حيث منعوكم الكبانية من السلف فترانا كتبنا لهم لا ارادة لهم في السلف ولا يطلبونه وكيونون منه ببال، لكن انتم تكتبون للرومي وتوصونه يعامل الناس بالكلام ولا يخالف القانون في البيع.

□ اما الجلد الاخضر ياقونه به(كذا) الى داره وهو يشتريه منهم كعادة منقبله، واما الجلد اليا بس يزمنه (كذا) في الديار كاتبه وكاتب الديوان ويزممون الجلد (كذا) الذي في الديار ويقبلونه حين الوسق بالزمام ولا بد وكنا كتبنا اولا للروى بهذا الامر فلا تكون المخالفة على العادة القديمة ولا بد ثم ولا بد وحاصله توصون الرومي يعاشر الناس لانه كما تعملون البلاد بلاد قبائل فلا ينفع الا حسن المعاشرة وعلى هذا العمل.

مناهج تحليل الوثائق:

أولا الاعتماد على:

1. المنهج التاريخي الذي يهتم بتتبع الأحداث وتأثيراتها، وهذا من أجل الحصول على وصف شامل للحقبة المدروسة.
2. إلى جانب استخدمنا المنهج المسحي الذي نعتمده في جرد العينة واختيار العينة المعبرة.
3. المنهج الإحصائي الذي ساعدنا في معرفة النسب ، التي تأكد لنا مجموعة من الحقائق التاريخية.
4. المنهج التحليلي الذي من خلاله نصل إلى الحقائق التاريخية التي تؤكدنا

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر الحديث ماستر 1 ...د.يوسف صرهودة

الوثائق، كما أنه يساعد في البحث عن الأسباب والتفسيرات للوصول إلى
العوامل المساعدة على تشكل الواقع الاقتصادي، وبرز فئات اجتماعية على
الساحة الاقتصادية في الفترة الأخيرة للتواجد العثماني.